العـراق. والكاتب يقسّم الشيوعيين الى اسلام ويهود ومسيحيين، وهذا امر غريب على حركة سرية شيوعية، وعلى الواقع العربي عامة؛ لكن الكاتب، الذي يعامل على اساس انه شرقي، يلجأ، احياناً كثيرة، الى اسقاط هذا الامر على العرب ايضاً، لكي يخفّف من وقع صدمة التقسيم المتداول في اسرائيل.

ثمة تناقضات كبيرة في عالم هذا الروائي. فمن ناحية، يصف وضع اليهود الممتاز بعد الحرب العالمية الثانية (ص ٧٧) والعلاقة الطيبة بين اليهود والعرب (ص ١٢٧) والمصاعب التي يلقاها اليهود نتيجة يهوديتهم، ناهيك عن تنميط شخصية العربي في الرواية.

لقـد اراد ميخائيل، المصاب بخيبة امل كبيرة من الواقع الصهيوني، ان يصفّي حساباته مع العالم العربي. وهاتان الروايتان («عاصفة بين النخيل» و «حفنة من ضباب») ليستا الّا تأكيداً على ذلك. وحتى يؤكد الكاتب قناعاته السلبية عن العالم العربي الذي عاش فيه، فانه يجيز لنفسه تغيير مواقف البطل الايجابي («نايف» جار نوري في «عاصفة بين النخيل») الى شخصية سلبية. وتتركز ازمة الشخصية اليهودية في انها مرفوضة، مع اننا قرأنا عكس ذلك تماماً في ادبيات القادمين من العراق عن احوال يهود العراق والعالم العربي.

ومـع ان الشخصيات العربية، في الرواية، تبدو طبيعية ومنمّطة احياناً، الّا انها جاءت لتؤكد الغاية التي يود الكاتب تأكيدها: عدم امكانية لقاء اليهودي مع العربي، حتى لو كانا من نفس البيئة ولهما نفس الاهداف، وبالتالي كان على رمزي، الذي وقع في حب سهام، ان يبحث عن بديل آخر لكل عالمه؛ وذلك البديل تحقق بهرب رمزي الى اسرائيل، مع ان رمزي كان يعارض، في البداية، اقامة دولة صهيونية، ويختلف مع مبادىء الحركة الصهيونية.

لقد استطاعت الخيبة الكبيرة المصوّرة في رواية ميخائيل الاولى «متساوون، ومتساوون اكثر» ان تدفع الكاتب الى ان يجري حساباً عسيراً مع كل عالمه. ولقد قام الكاتب باسقاط الكثير من المشاكل على العالم العربي، وحاول ان يكبّر السيئات، مع اننا لاحظنا، في احيان، مدى كبر حنينه للعالم الذي ولد ونشأ وترعرع فيه. وعلى الرغم من كل ذلك، اجرى الكاتب حساباً آخر مع الحركة الشيوعية هنا، كما سنرى في رواية «إجارة»، ونمّط العربي فيها وفي رواية «بوق في الوادي».

الواقع في الداخل

في مجال البحث في عالم ميخائيل، نجد ان رواية «إجارة» هي اهمّ عمل له. ففي هذا العمل، نجد ان اغلب الشخصيـات مصابة بانفصام في الشخصية، وتقول غير ما تفكر، وتؤمن، به، باستثناء المتقاعد طوبيا.

فمـا نلاحـظه في هذه الرواية ان الادب العبري، في مجمله، يأتي كاستجابة لمجريات الواقع، وخاصة الحرب. فخوفاً على الشاعر العربي الشيوعي فتحي من مطاردات الشرطة تجيره شولا في بيتها في زمن «حرب الغفران». طوال هذه الفترة، يسوق لنا الكاتب مناقشات لافكار، ويقدّم الينا شخصيات عديدة: مردوخ زوج شولا الذي يحارب في سيناء، واميل، وعمالياً، وفؤاد زوج شوشانا. كل هذا يدور على ارضية ازمة الحرب. وفي النهاية، يخلص الكاتب الى ان الايديولوجيات اليسارية لا تنتصر، بل القوميات هي التي تنتصر في النهاية، ويفترق الجميع بعد خيبة كبيرة. ونرى ان التمزّق الغالب في الشخصيـات ما هو الّا نتيجة لاحساس الشخصيات القومي ونسيانها ما تؤمن به. ولأهمية هذه الروايـة، رأينـا ان نقـوم بتقديم كل من الشخصيات الرئيسة على حدة. والملاحظة الرئيسة التي